

باب ما جاء في خطبة النكاح

باب ما جاء في خطبة النكاح. قال الترمذى حدثنا عبتر بن القاسم عن الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: { علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة، قال: التشهد في الصلاة: "التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أبا النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله". والتشهد في الحاجة: "إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا وسبئات أعمالنا، فمن يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ويقرأ ثلات آيات } . قال عبتر ففسره لنا سفيان الثوري { أتَقُولُ اللَّهُ حَقَّ تُقَائِنَةً وَلَا تَمُؤْنَ إِلَّا وَأَتَقُولُ اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } { أتَقُولُ اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } قال: وفي الباب عن عدي بن حاتم . قال أبو عيسى حديث عبد الله حسن رواه الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه شعبة عن أبي إسحاق عن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكلا الحديثين صحيح؛ لأن إسرائيل جمعهما فقال: عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم -. وقد قال أهل العلم: إن النكاح جائز بغير خطبة، وهو قول سفيان الثوري وغيره من أهل العلم، قال الترمذى حدثنا أبو هشام الرفاعى قال: حدثنا محمد بن فضيل عن عاصم بن كلوب عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - { كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء } قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب. في هذا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - علمهم التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة، وقد تقدم التشهد في الصلاة، وهو هذا التشهد الذي هو: "التحيات لله.." إلى آخره، وأن محله في آخر الصلاة أو بعد ركعتين إذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثة، هذا التشهد الذي تختتم به الصلاة يسمى التحيات، وقال ابن مسعود { إن النبي - صلى الله عليه وسلم - علمني التشهد كما يعلمني السورة من القرآن } وفي رواية: { علمني التشهد كفي بين كفيه } يعني للاهتمام به. وأما التشهد للحاجة فهو هذه الخطبة، تسمى خطبة الحاجة، أي يخطب بها عند الحاجة، ويستحب أن يقدمها بين يدي كل أمر له أهميته خطبة جماعة، وخطبة عيد، وكذلك خطبة عقد النكاح، وخطبة ابتداء كلام، خطبة ندوة أو خطبة محاضرة أو خطبة درس أو ما أشبه ذلك. يبدأ بها؛ وذلك أو لا أن فيها الابتداء بحمد الله، وقد ورد في الحديث: { كل أمر لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع } وفي رواية "باسم الله". كذلك لا شك أن في هذه الخطبة ثناء على الله تعالى واعتراف به وكذلك دعاء له، قوله: { نستعينه ونستغفره ونتوب إليه } هذا دعاء، دعاء بالاستغفار وبالمحشرة وبقبول التوبة، وقوله: { من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له } هذا اعتراف لله تعالى بأنه المتصرف في خلقه، من الخالق الهادي؟ لا يملك ذلك إلا هو، فهو الذي خلقهم، وهو الذي يهدي من يشاء فضلا منه، يصل من يشاء عدلا منه، فمن هداه لن يقدر أحد أن يضله، ومن أضلله لن يقدر أحد أن يهديه، وهذا مما استملت عليه هذه الخطبة. واستملت أيضًا على الشهادتين، ولا شك أن الشهادتين هما عقد نظام التوحيد، وأنهما أصل وأساس، أساس لإيمان وللدخول في الدين، والمقصود من الشهادتين أيضًا معناهما، اعتقاد مدلولهما، واشترطت الشهادتان في كل خطبة. سمعنا الحديث الثاني الذي ذكره الترمذى { كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء } الأخذم هو المقطوع، إذا كانت اليد جذماء - يعني مقطوعة الكف إنما بقي منها الذراع والعضد - قل نفعها؛ وذلك لأن النفع يتوقف غالباً على الكف وما فيها من الأصابع، فإنه الذي يعمل به، فإذا كانت الكف مقطوعة قلل نفعها وقللت فائدتها، كذلك الخطبة التي ليس فيها تشهد قليلة الفائدة قليلة الثمرة، هكذا يستدل بهذا الحديث. وبكل حال يستحب لكل من أراد أن يخطب خطبة نكاح أو خطبة ندوة أو خطبة درس أو نحو ذلك أن يبدأ بهذه الخطبة، وأن يأتي بعدها بثلاث آيات: الآية التي في سورة آل عمران: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقَّ تُقَائِنَةً وَلَا تَمُؤْنَ إِلَّا وَأَتَقُولُ مُسْلِمُونَ } أول آية في سورة النساء: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُولُ رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَبَتَّ مِنْهُمَا رَوْجَهَا وَتَبَّ أَيُّهَا الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } وأالية التي في سورة الأحزاب: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمْنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفُرُ لَكُمْ دُونِكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ قَوْلًا عَظِيمًا } . وفي هذه الآيات الأمر بتقوى الله، فيحرص على أن يأتي بهذه الآيات ليذكر السامعين، يذكرهم بتقوى الله، كانه يوصيهم بتقوى الله - سواء كان الزوجان أو أولياء الزوج أو الحاضرين - يوصيهم بتقوى الله: { أَتَقُولُ اللَّهُ حَقَّ تُقَائِنَةً } { وَأَتَقُولُ اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } { أَتَقُولُ اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } يذكرهم بأن عليهم تقوى الله، وتقوى الله هي العمل الصالح، أصلها ترك المعاصي و فعل الطاعات، ويفسرها بعضهم بقوله: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن ترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله" هكذا تفسّر .. التقوى، ونظمها بعضهم بقوله: خل الذنوب صغيرها وكبیرها ذاك التقى ولكن كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحررن صغيرة إن الجبال من الحصى وعلى كل حال لو عقد بدون خطبة لصالحة عقد، ولكنه ترك الأولى والأفضل.